على لبانها وترضعك بلبانها، وتونسك بالمناغاة إذا
استوحشت، وتصمتك بالتعليل إذا أجهشت، ولما
طفق يرشحك لإصابة الطيبات التي ترزقك، وأنشأ
ينشئك للتوصل إلى غرائب حكم يسددك لها ويوفقك،
جعل أسنانك في مغارزها مركبه، وصيرها على مراتب
الحكمة مرتبه، ودبر فيك للأصوات مدارج، وللحروف
المبسوطة مخارج، وأطلق لسانك فتكلمت، وعلمك
طرق البيان فتعلمت، ولقنك الشهادتين، وحملك
ما بين الدفتين، وهداك النجدين، وألقى إليك الصغير
فوصف لك ما تؤدي منهما إلى النجاة مسالكه، وعرفك
ما لا تؤمن بوائقه ومهالكه، لئلا تقع في أغفال الباطل
ومجاهله، ولتنصب إلى شرائع الحق ومناهله، ثم خولك
من جزالة الفضل ما حلق على هام أمانيك، ولم تطمح
ظنون عشيرتك وأدانيك، ورفع لك في ذلك صيتا
صيتا، وحسن ذكر تضمن لك الحياة ميتا، ثم أوسعك
تقلبا في الجناب الأخضر، وافتراشا للمهاد الأوثر
من العيش المترف، والبال الفارغ، والمشرب الرافه

والمركب الفاره، والمنظر المرموق، والسكن الموموق
والدار ذات الزخارف، والرفارف، والحديقة ذات
الأكل والظل الوارف، والقنية المغنية، والغنية
المقنية، وإنما أولاك ما أولاك لتنظر في وجوه نعمائه
متفكرا، وتتوفر على محامده متشكرا، فخالفت عما أرادك
عليه، ونبذت ما أهاب بك إليه، مخلدا إلى الشيطان
ونزغاته، مقبلا على الشباب ونزقاته، ملائما الطيش
ونزواته، موغلا في التصابي ونشواته، تسد مسامعك
دون من ينتصح، وتود لو رمي بعي فلا ينفصح، يكاد
يزيدك على الشر إغراء، وعلى ارتكابه إضراء، ولقد فعلت
مما هو الخبير بخباياه، والمطلع على خفاياه، وهو يرخي
على معايبك سترا لا يشف حافيا، ويسبل على مثالبك
ذيلا لا يصف ضافيا، ويحامي عليك مما يشوربك ويفضحك
ويشوهك عند الناس ويقبحك، كلما ازددت بلؤمك
غمطا لأياديه وكفرانا، زادك بكرمه الواسع طولا وإحسانا
هذا إلى أن بلغت الأربعين أو نيفت عليها، وهي الثنية
التي على الأريب العاقل إذا شارفها أن يرعوي، وعلى اللبيب

ما فعلت صح